الجامعة	جامعة الانبار
الكلية	كلية التربية للبنات
القسم	التاريخ
المرحلة	الثالثة
اسم المادة باللغة العربية	بلاد عربية حديثة
اسم المادة باللغة الانكليزية	Modern Arab Countries
اسم التدريسي	اسماء اسماعيل ابراهيم
عنوان المحاضرة باللغة العربية	السيطرة العثمانية على أقطار المغرب العربي
عنوان المحاضرة باللغة الإنكليزية	Ottoman control over the Maghreb countries
رقم المحاضرة	السابعة
المصادر او المراجع	دكتور ابراهيم خليل احمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، رأفت الغنيمي : تاريخ العرب الحديث

السيطرة العثمانية على أقطار المغرب العربي

اشرنا فيما سبق إلى أوضاع التفكك السياسي والتدهور الاقتصادي الذي كانت تعيشه أقطار المغرب العربي وخاصة بعد ظهور الأطماع الاستعمارية الاسبانية والبرتغالية ، لذلك فقد أخذ السلطان سليم الأول على عاتقه مهمة بناء قوة بحرية تتولى انتزاع السيادة البحرية من الدول الأوربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وقد عاصرت مشروعات الدولة العثمانية في هذه المنطقة ظهور حركة عامة بين قادة البحر المغاربة تستهدف العمل على حماية موانيهم وسواحلهم من الأطماع الأوربية ، والعمل على تأمين وصول المهاجرين العرب من الأندلس بعد سقوط الدولة العربية فيها سنة ١٤٩٢ .

لقد كان من أبرز أولئك القادة البحاران المغربيان عروج بن يعقوب وأخيه خير الدين المعروف باربروس - أي ذو اللحية الصفراء - اللذان كانا يمتلكان اسطولا قويا يعمل فى البحر المتوسط ، وكان عروج منذ سنة ١٥١٠ يتولى إدارة جزيرة جربة وهي جزيرة صغيرة تقع في خليج قابس شرقي تونس بموافقة سلطان تونس أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي ١٤٩٤ - ١٥٢٦ مقابل دفعة للسلطان خمس الغنائم التي يحصل عليها من جراء الغارات التي يشنها على السفن الأوربية .

وكان للقصص التي يتداولها الناس عن الفظائع التي يرتكبها الاسبان ضد عرب الاندلس والمخاطر التي يتعرضون لها عقب خروجهم من الاندلس ولاسيما خطر وقوعهم أسرى لدى القراصنة الأوربيين من الأسباب التي جعلت عروج وأخيه خير الدين يوجهان جزءا من نشاطها العمل على إنقاذ العرب الاندلسيين عن طريق تأمين إيصالهم بسلام إلى المغرب العربي ويقال إن عدد الذين تم إنقاذهم يقدر بعشرات الآلاف

اتجهت أنظار عرب المغرب إلى عروج وأخيه خير الدين لإنقاذهما من النير الأجنبي وكانت بجاية في طليعة المدن التي استنجدت بالأخوين لتحريرهما من الاسبان وقد لبى الإخوان الدعوة لكنهما أخفقا في تحريرها بسبب مناعة

حصونها لذلك أحس الإخوان بضرورة البحث عن قاعدةتمرت عملية تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوربيين في اسواق حلب والقاهرة واستانبول وبورصة.
جديدة لنشاطهما فوقع اختيارهما على ميناء جيجل الجزائري الذي يقع على بعد ١٠٢ كم غرب بجاية وقد تمكن الإخوان من تحريره وجعله مركزا لنشاطهما .

اتصل عروج بعد تحرير جيجل بالسلطان سليم الأول وأرسل إليه جزءا من الغنائم وشرح له طبيعة المخاطر التي يتعرض لها المغرب العربي وبين له حاجته إلى الدعم والتأييد ، وقد اغتبط السلطان سليم بهذا العرض وبعث إلى عروج اسطولا مؤلفا من ١٤ سفينة مع إمدادات من الرجال والسلاح والذخيرة ويبدو ان الدعم الذي تلقاه عروج من العثمانيين زاد من إمكاناته وطموحه ، إذ حاول احتلال بجاية ثانية في اب ١٥١٤ واستعان لذلك الغزو بقوة من قبيلة كتامة قوامها عشرون ألف مقاتل إلا أنه فشل في ذلك واضطر إلى رفع الحصار الذي يستمر ثلاثة أشهر وعاد إلى مقره في جيجل ، ويمكن عزو هذا الإخفاق إلى عوامل عدة منها رداءة الأحوال الجوية ووصول قوة إسبانية لنجدة حامية بجاية ، إضافة إلى حلول موسم البذار وما ترتب عليه من تخلي رجال القبائل عن القتال وعودتهم إلى حقولهم .

قرر عروج توجيه جهوده نحو تحرير ميناء الجزائر بعد أن تسلم بضعة رسائل استغاثة من بعض الاهالي ، ومما تضمنته رسالة أحدهم وهو الشيخ ابو العباس بن احمد قاضي الزواوي ، وهو عالم وفقيه جزائري معروف بموقفه المعادي للإسبان قوله : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب . وقد جاء قرار عروج هذا اثر دراسة مستفيضة لأوضاع الجزائر إذ أدرك أن نجاحه في احتلال الجزائر وهي التي تتمتع بموقع ممتاز على البحر في منتصف المسافة بين بجاية ووهران ، سيجعله قادرا على إنقاذ بجاية وسواها من المدن الساحلية التي كانت ترزح تحت النير الاسباني ، كما ان السيطرة على الميناء ستكون بمثابة خطوة على طريق تأسيس حكم جديد في الجزائر تكون السلطة فيه له ولأخيه ، وعليه اتصل عروج بأخيه خير الدين وكان آنذاك في تونس وطلب منه تجنيد المتطوعين الراغبين في القتال ضد الاسبان والتوجه بهم بحرا للمساهمة في هذه الحملة وخرج خير الدين على رأس قوة بحرية مؤلفة من ٢١ سفينة على متنها ١٥٠٠ مقاتل ،

اما عروج فقد غادر جيجل ومعه قوية برية قوامها ٨٠٠ مقاتل ، وأخذ في طريقه إلى ميناء الجزائر يجند القبائل الجزائرية حتى بلغ عدد أفرادها ٥٠٠٠ وبعد أن نجح الاخوان في تحطيم المحاولات الدفاعية التي قامت بها الحامية الاسبانية وتم لهما تحرير ميناء الجزائر في أواسط سنة ١٥١٦ اتجها نحو تلمسان وتناس والمدية ومليانة جنوب مدينة الجزائر لتحريرها من السيطرة الأجنبية /

حاول عروج إنشاء دولة في الجزائر قادرة على تحقيق وحدة المغرب العربي الا ان هذه البداية الناجحة فشلت حين أدرك الاسبان أن قوات عروج أصبحت تشكل تهديدا خطيرا لوجودهم الاستعماري في المنطقة كلها ، لذلك فقد أصدر الملك شارك الخامس أوامره إلى حاكم وهران الاسباني بالتقدم نحو تلمسان وإجلاء قوات عروج عنها ، وقد نجحت القوة الاسبانية في محاصرة عروج في مكان قع قرب وادي الملح بين وهران وتلمسان وقتله وتشتيت أتباعه سنة ١٥١٨ .

أدار خير الدين الصراع ضد المستعمرين الاسبان بعد مقتل أخيه عروج ، وأدرك منذ البداية ضعف موقفه السياسي وضآلة إمكانياته العسكرية لذلك أرسل بعثة إلى استانبول ترأسها أبو العباس بن احمد بن قاضي الزواوي يطلب فيها المساعدة من العثمانيين ، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تقوية مركزه ومن ثم تمكينه من الوقوف بوجه الاسبان ، وقد رحب السلطان سليم ومنح خير الدين لقب باشا رتبة بكلر بكي الجزائر وأرسل إليه في سنة ١٥١٨ قوة من الانكشارية قوامها ستة آلاف رجل بمدافعهم وعتادهم الحربي تكون منهم " الأجواق " أي قوة الجزائر الحربية وسمح له بتجنيد المتطوعين من الأناضول .

وقد نجح خير الدين في احتلال قلعة البينون يوم ٢٧ أيار سنة ١٥٢٩ بعد سلسلة من المعارك الدامية ضد المحتلين الإسبان وبذلك خلص مدينة الجزائر من نيران المدفعية الاسبانية التي كانت تسلط عليها من هذه القلعة التي لم تكن تبعد عن المدينة أكثر من ٣٠٠ متر ، إن احتلال قلعة البينون

ثبت وضمن أمن مدينة الجزائر ، وبعد ذلك في الحقيقة بداية السيطرة العثمانية على المغرب العربي .

فقد استدعي السلطان سليمان القانوني خير الدين باربروس إلى استانبول ليتفق معه حول الاجراءات التي يمكن اتخاذها لإيقاف الزحف الأوربي والعمل على تثبيت أقدام العثمانيين في الغرب العربي كجزء من عملية توسعهم في الوطن العربي .

قام خير الدين بإعادة بناء الاسطول الجزائري ، واستعد لاقتحام تونس وضمان حرية التنقل بين شواطئ البحر المتوسط ، وفي ١٨ نيسان سنة ١٥٣٤ استولى بسهولة على مدينة تونس بعد ان اغتنم الثورة التي نشبت فيها ضد حاكمها أبي محمد الحسن الحفصي حليف الاسبان .

وسرعان ما استنجد الحسن بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع اسطولهم في حزيران سنة ١٥٣٥ أمام ساحل سردينا والتوجه نحو تونس والاصطدام مع قوات خير الدين ومحاصرتها ، عندئذ اضطر خير الدين للانسحاب إلى ميناء عنابة ثم إلى ميناء الجزائر ، أما الاسبان فقد احتلوا مدينة تونس يوم ٢١ تموز ١٥٣٥ وأعادوا الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا ضمن لهم مصالحهم وكان من أبرز بنود الاتفاق :

١- إطلاق سراح جميع الأسرى الأوربيين دون دفع أي فدية .

٢- ضمان حرية التجارة للأوربيين والامتناع عن أعمال القرصنة .

٣- على سلطان تونس دفع جزية سنوية إلى الاسبان مقدارها ١٢ الف قرش .

٤- أن يتعهد سلطان تونس بتقديم هدية سنوية مكونة من ١٢ حصانا و ١٢ مدفعا دليلا على الاستمرار بالاعتراف بالسيادة الاسبانية
٥- تتعهد اسبانيا بحماية تونس ضد أي هجوم أجنبي

٦- يبقى احتلال تونس لحين هدوء الحالة فيها .